رمزا لبطولة الفدائي الفلسطيني . وكان كل ذلك يعني اذا ترجم الى لغة الارقام وللقوى المعنوية والمادية الملموسة ، مضاعفة قوة الثورة الفلسطينية مئات المرات في مجالات القوة المادية والبشرية والتسلح والتأييد المعنوي والحماية الشعبية . ومن هنا ، وانطلاقا من هذا المعنى شكلت معركة الكرامة نقطة تحول نوعية في تاريخ الثورة الفلسطينية . (٢) تكريس فكرة حرب الشعب طويلة الامد، في مقاومة العدو الصهيوني، بأعين الجماهير الفلسطينية والعربية ، فهي من جهة هزمت الاتجاه الذي حاول دفع الجماهير الى اليأس والاستسلام أثر هزيمة الجيوش العربية في حرب حزيران ١٩٦٧ ، وهي من جهة ثانية كرست معنى الصمود في ضمير الشعب الفلسطيني والعربي وفتحت طريقا جديدا مناسبا ـ حرب الشعب ـ امامه للسير فيه ، أي شكلت الكرامة نقطة تحول جعلت الجماهير تشعر بقواها الكامنة وتثق بقدرتها على القتال وتندفع لتسلم زمام قضيتها بايديها ، تاركة مقاعد المتفرجين على صراع الجيوش النظامية . (٣) تركيز القاعدة الآمنة للثورة الفلسطينية في الاردن وفتح الطريق للتوسع في بناء القواعد الآمنة . (٤) دخول كفاح الطلائع المقاتلة في داخل فلسطين وخارجها ومعها جماهير الارض المحتلة ، مرحلة جديدة تميزت في الاستعداد لاجتراح البطولات والتجرؤ على خوض النضال ، كل ذلك تحت الهام المثل الذي ضربته معركة الكرامة .

ان هذه النتائج عندما تتولد عن معركة صغيرة واحدة،وفي منطقة هامة كالوطن العربي، وتمس بتأثيرها شغاف قلوب عشرات الملايين من ابناء الشعب ، لا يمكن الا أن تضع مثل هذه المعركة في مصاف المعارك التاريخية الكبرى . لقد نظرت الجماهير الى معركة الكرامة على هذه الصورة دون ان تتوهم ان الثورة أبادت الجسم الرئيسي لقوات العدو المهاجمة ، أوتظن ان العدو لم يستطع دخول الكرامة،ولم يعمل فيها ابادة وتدميرا ، فالجماهير قد حجمت معركة الكرامة قدر حقيقتها،وقيمتها ذلك التقييم الرفيع ضمن هذا التحجيم . لقد ادركت الجماهير بحسها الرهيف انه لم يكن مطروحا، ولم يكن مطلوبا ، انزال الهزيمة الساحقة بالعدو ، وانما كان المطروح هو انقاذ الوضع من استمرار التدهور من خلال الاثبات العملي ان بالامكان الصمود في وجه العدو والقتال ضده حتى النهاية. فالجماهير كانت تبحث عن مكامن قوتها كانت تبحث عن الثأر لكرامتها المهدورة، كانت تريد أن تخرج من الهزيمة، وان يفتح امامها باب الامل في امكانية تحقيق الانتصار. وهذا ما ادركته الطليعة الثورية التي قررت خوض معركة الكرامة وهي تعرف سلفا أن القوى المتقابلة غير متكافئة . فقواها ضئيلة جدا اذا ما قيست بقوى العدو . وهذا ما حققته معركة الكرامة .

ومن هنا كان قرار دخول المعركة قد تم مع سبق الاصرار والعمد ، دون ان تواجه الطليعة بهجوم مفاجيء او تجد نفسها في قلب طوق ضرب عليها بسرعة خاطفة . ومن هنا كان ذلك القرار عملا استثنائيا ، وكانت الكرامة معركة استثنائية . ان الاعتبارات السابقة تسقط امامها حسابات النصر العسكري من زاوية عسكرية صرف . وتقفز الى المقدمة المسألة السياسية وخط الجماهير .

على أن القضية الاخرى التي لا بد من أن تثار هنا هي : كيف يمكن أن ينظر لمعركة الكرامة ليضاف الدرس المستخلص منها الى التراث النظري للثورة العالمية ، عموما ، ولعلم حرب الشعب خصوصا ؟ .

عندما كان ماركس يعلق على حرب المقاومة التي شنها الشعب الاسباني ضد نابليون لاحظ في مقالته « حرب الغوار في اسبانيا » السمات الاساسية لتكتيك حرب الغوار (العصابات) فقد كتب يقول « أن قواعد اولئك المغاورين على ظهورهم حيثما وجدوا، وكانت كل عملية موجهة ضدهم تنتهي باختفاء هدفها » (استشهاد أورده ماركس نقلا عن « الصحيفة العسكرية النمساوية ») ... « وما دام المغاورون منظمين على هذه